

972 | تعليق على معارج القبول للشيخ حافظ الحكم | الشيخ

عبد الرزاق البدر

عبدالرزاق البدر

الحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله. نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد فيقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى وقال الشافعي رحمه الله تعالى اجمع الناس على ان من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد من الناس. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه اجمعين

اما بعد لا نزال مع الفصل الاخير من فصول الخاتمة وهو في بيان الواجب تجاه المسائل التي نصب فيها الخلاف او وجد فيها الخلاف وان الواجب في ذلك ان يرد ما نصب فيه الخلاف الى كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وقد نقل المصنف رحمه الله تعالى نقولا كثيرة من ادلته الكتاب وادلة السنة على ذلك ثم نقل ايضا قولا

عنا بعض ائمة السلف رحمهم الله تعالى في ذلك ثم جعل الخاتمة في نقول كثيرة جدا نقلها عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى بدأها بهذا النقل عنه رحمه الله هو حكاية الاجماع على ان من استبانت له سنة النبي عليه الصلاة والسلام ومعنى استبانت اي اتضحت وظهرت له فليس له ان يدعها لقول احد كائنا من كان لان السنة هي الاولى بالتابع واللاحق بالامتثال فمن استبانت له سنة النبي عليه الصلاة والسلام فليس له ان يدعها لقول احد كائنا من كان بل فتؤخذ او يؤخذ بالسنة ويطرح من الاقوال كل ما خالفها نعم قال رحمه الله تعالى وضح عنه انه قال لا قول لاحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. نعم اذا صحت السنة ليس لاحد قول مع قول الرسول عليه الصلاة والسلام بل الواجب على الجميع ان يسلموا وان يدعنا وان ينقادوا له صلوات الله وسلامه عليه. نعم وقال رحمه الله تعالى اذا وجدتم في كتاب خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا المثبت عندنا اذا وجدتم في كتابي احسن الله اليكم. وقال رحمه الله اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت. وفي لفظ فاضربوا بقولي عرض الحائط وقال رحمه الله اذا وجدتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذوا بالسنة ودعوا قولي فاني اقول وقال رحمة الله وقال رحمه الله تعالى كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه عند اهل النقل بخلاف ما قلت فانا راجع عنها في حياتي وبعد موتي. نعم واستنادا الى هذا القول والاقوال التي قبلها المنقولة عن الشافعي رحمه الله تعالى كان بعض علماء الشافعية الاعيان

اذا ذكروا قولا صح فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الشافعي بخلافه يقولون وهذا قول الشافعي يقولون هذا قول الشافعي باعتبار انه قرر هذا الاصل ان اه ان الحديث اذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم وقوله الذي وصل اليه بالاجتهاد على خلاف قول الرسول عليه الصلاة والسلام قال فارموا بقول عرضا الحائط وخذوا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام وهو معذور في قوله المخالف لقول الرسول عليه الصلاة والسلام لانه اجتهد هو مأجور في اجتهاده معذور في عدم اصابته او في خطاه لكن المعتمد هو ما صح عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. نعم قال رحمه الله تعالى وقال رحمه الله وروي حديثا فقال له رجل تأخذ بهذا يا ابا عبد الله؟ فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم اخذ به فاشهدكم ان عقلي قد ذهب واثار بيده على رؤوسهم وسأله رجل عن مسألة فافتاه وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا فقال الرجل اتقول بهذا؟ قال

ارأيت في وطأة زنارا اتراني خرجت من الكنيسة؟ اقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول لي اتقول بهذا اروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اقول به وفي لفظ فارتعد الشافعي رحمه الله واصفر لونه وقال ويحك اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فلم اقل به نعم على الرأس والعينين نعم هذا من عظيم مكانة السنة في قلبه رحمه الله تعالى من تعظيمه لها وان المقدم والذي عليه المعول هو قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه

سأله رحمه الله السائل اما السنة فذكر الحديث فقال له السائل اتقول بهذا يذكر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول له

السائل اتقول هذا فارتعد من هول هذا السؤال لان هذا لا يقال ابدا

قال هل رأيت في وسط زنارا؟ هل رأيت آآ في يدي صليبا جاء في بعض الروايات هل رأيت في يده زجاجة خمر اقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هل تقول بهذا

وفي الاثر الذي قبله يقول ان ان كنت قولاً حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً ثابتاً فلم اخذ به فاشهدكم ان عقلي ذاهب لا يفعل هذا الا من هو ذاهب العقل. اما من كان صحيح العقل فانه يسلم ويذعن تماماً لقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام نعم قال رحمه الله تعالى وقال رحمه الله ما من احد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول واصلت فيه عن رسول الله صلى الله عليه قلت من قول وارسلت من اصل انا نسختي ايضا ساقطة لكن في المصادر ما يستقيم السياق الا بها احسن الله اليكم فمهما قلت من قول وافصلت من اصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت فالقول ما قاله عليه وسلم وهو قولي وجعل يردد هذا الكلام. نعم يقول ما من احد الا وتذهب عليه السنة يعني مهما بلغ من العلم الامام بالاحاديث وسعة الاطلاع عليها لا بد ان تعصب عنه سنة تعزب اي تغيب عنه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تذهب عنه

مهما اوتي من سعة في العلم لا بد ان يحصل له هذا ولهذا بناء عليه يقول فمهما قلت من قول واصلت من اصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت

فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هذا الكلام والذي قبله كله اختصره في جملة مشهورة عنه يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي اذا صح الحديث اي ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام فهو مذهبي لان القول هو ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام نعم قال رحمه الله تعالى وقال الشافعي رحمه الله ايضا لم اسمع احدا نسبته العامة او نسب نفسه الى علم يخالف في ان فرض الله تعالى اتباع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه فان الله لم يجعل لاحد بعده الا اتباعه وانه لا يلزم قول رجل قال الا بكتاب الله او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ما سواهما تبع لهما. وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد لا يختلف فيه. نعم ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى كل يحتج لقوله لا به الا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكلام الله

احاديث رسوله عليه الصلاة والسلام هذه هي الحجة واما اهل العلم فاقوالهم نفسها ليست هي الحجة. بل يطلب لها الحجة والدينيم.

فكل يحتج لقوله يطلب الحجة لقوله والدليل فان وجد قبل وان لم يوجد رد

الا الله ورسوله اي فان فيحتج بقولهما لا لقولهما. لان قول الله وقول رسوله عليه الصلاة والسلام هو الحجة. نعم قال رحمه الله تعالى وقال الربيع سألت الشافعي عن الطيب قبل الاحرام بما يبقى ريحه بعد الاحرام وبعد رمي الجمره والحلق وبعد رم وبعد رمي الجمره والحلق وقبل الافاضة. نعم يعني سأله عن هذين المواطنين هل يشرع اه او يجوز ان ان يظع الطين قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف بالبيت. هذين المواطنين

هل له ان ان يتطيب او ليس له ذلك؟ نعم فقال جائز واحبه ولا اكرهه لثبوت السنة فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم نعم عائشة رضي الله عنها قالت كنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف بالبيت هذا حديث ثابت في نفس المسألة من فعله عليه الصلاة والسلام نعم لثبوت السنة فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والاحبار عن غير واحد من الصحابة فقلت وما حجتك فيه؟ فذكر اخبار فيه والاثار ثم قال اخبرنا ابن عيينة عن عمر ابن دينار عن سالم قال قال عمر رضي الله عنه من رمى الجمره فقد حل له ما حرم عليه الا النساء والطيب. فقال سالم وقالت عائشة رضي الله عنها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي نعم قد يكون عمر رضي الله عنه ما بلغه هذا الذي صنعه آآ النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. عائشة رضي الله عنها تقول طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعني شهادة الوقت كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف بالبيت اي بعد ان يرمي الجمره ويحلق ان كانت تطيب او طيبته عليه الصلاة والسلام قبل ان يطوف طواف الافاضة. نعم

قال رحمه الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم احق ان تتبع قال وهكذا ينبغي ان يكون الصالحون واهل العلم؟ نعم الصالحون واهل العلم ينبغي ينبغي ان يكونوا بهذه الصفة اذا ثبتت

سنة عن الرسول عليه الصلاة والسلام فالواجب عليهم ان ان يأخذوا بها ولا يعول على غيرها لقول كائن من كان لقول كائن من كان نعم قال وهكذا في هذا المعنى قول ابن عباس المشهور رضي الله عنه يقول يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال ابو بكر وعمر نعم قال وهكذا ينبغي ان يكون الصالحون واهل العلم. فاما ما تذهبون اليه من ترك السنة وغيرها وترك ذلك لغير شيء. بل لرأي

انفسكم فالعلم اذا اليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم. نعم بهذه الصفة يكون العلم اليكم اي لارائكم ليكم فهي الذي عليها المعول وليس المعتبر. السنة فالعلم اذا اليكم اي ليس الى سنة النبي عليه الصلاة والسلام. نعم قال رحمه الله وقال رحمه الله من تبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقته ومن خلط فتركها خالفته صاحبي الذي لا افارق الملازم الثابت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان بعد والذي افارقه ومن لم يقل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان قرب. نعم وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتاب ابطال الاستحسان الحمد لله ابطال الاستحسان هذا جزء من كتابه الكبير الام نعم الحمد وقال رحمه الله في خطبة كتاب ابطال الاستحسان الحمد لله على جميع نعمه بما هو اهله وكما ينبغي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله. ثم انعم علينا واقام الحجة على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم. وفرض عليهم اتباع ما انزل اليهم وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فاعلم ان معصيته في ترك امره وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم. لعلها فاعلم احسن الله اليك فاعلم ان معصيته في ترك امره وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يجعل لهم الا اتباعه. وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا. وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله مع ما علم نبيه ثم فرض اتباع كتاب مع ما علم نبيه صلى الله عليه وسلم ثم فرض اتباع كتابه فقال استمسك بالذي اوحى اليك وقال وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واعلمهم انه كمل لهم دينهم فقال عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديننا. الى قال ثم من عليهم بما اتاهم من العلم فامرهم بالاعتصام عليه والا يقولوا غيره الا ما علمهم. فقال نبيه صلى الله عليه وسلم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان. وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم. وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم انزل على نبيه انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ورضوانه عنه وانه اول شافع ومشفع يوم القيامة وسيد الخلائق. وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقف اليس لك به علم وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل في امرأة في امرأة رجل رماها بالزنا فقال له يرجع فاوحى الله اليه اية اللعان تلاعن بينهما وقال قل لا يعلم من في السماوات والارض الغيب الا الله. وقال ان الله عند علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام. الاية وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم يسأل دونك عن الساعة ايام مرساها فيما انت من ذكراها. فحجب عن نبيه علم الساعة. وكان من عدا وكان من عدا ملائكة الله المقربين وانبيائه المصطفى المصطفين من عباد الله اقصر علما من ملائكته وانبيائه والله عز وجل فرض على خلقه طاعة نبيه ولم يجعل لهم من الامر شيئا وكلامه رحمه الله تعالى في هذا الباب كثير مشهور مذكور. وهذا الذي قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ما خالفهما هو الذي نطق به نعم ومثل اه ما نقل عنه هناك نقول كثيرة ايضا عن غيره من الائمة المعتبرين رحمهم الله تعالى نعم قال رحمه الله تعالى وهذا الذي قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ما خالفهما هو الذي نطق به. وصرحت به نصوصها واجمع عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم كما حكي اجماعهم هو وغيره. وكما هو المشهور من سيرتهم في الاقوال والافعال ونصوصهم في هذا الباب ملاء الدنيا يعني من كثرتها نعم. نعم احسن الله اليكم. وتصانيفهم في ذلك قد طبقت مشارق الارض ومغاربها ولو رأوا ما عليه مقلدوهم في هذا الوقت تبرأوا منهم ومقتوهم اشد المقت. يقصد بذلك المتعصبة. نعم ولو رأوا ما عليه مقلدوهم في هذا الوقت لتبرؤوا منهم ومقتوهم اشد المقت. فانهم ليس على ما كانوا عليه ولا اهدوا الى ما ارى. الشافعي مر معنا انه ارتعد لما قال له آآ هل تقول بهذا؟ يعني قول الرسول عليه الصلاة والسلام فلو رأى رأى هؤلاء مقلديهم وفي تعصبهم لاقوال آآ من يقلدون وتاركين قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد استبان لما قتلهم كما ذكر رحمه الله تعالى اشد المقت. نعم قال فانهم ليسوا على ما كانوا عليه ولا اهدوا الى ما ارشدوهم اليه. نعم هؤلاء المقلدون ليسوا على ما كان عليه هؤلاء الائمة من تعظيم للسنة ووجوب تقديمها واطراح ما خالفها بل اختلفوا اختلافا شديدا وافترقوا افتراقا بعيدا. وكل منهم يحصر الحق في امامه.

ويرى سائر اهل العلم مفضولين وامامه فاضلا نعم حتى بعضهم قعد قواعد
قواعد وتأصيلات في رد الاحاديث التي تخالف قول اه امامه يعني بعضهم يقول كل قول او كل يقول كل حديث خالف قول امامنا
فهو منسوخ او مؤول فالمقدم عنده قول الامام حتى وان كان مخالفا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام وما هكذا علم الائمة
الا الناس نعم قال رحمه الله تعالى واذا خالف مذهبه نسا ضرب له الامثال وتكلفت وتكلف له التأويل المحال ويقابله الاخر بمثل ذلك
فهم بين راد ومردود وحاسد ومحسود. وكان فيهم شبه من الذين قال الله تعالى فيهم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
كل حزب بما لديهم فرحون. ولم يعلم هؤلاء المساكين ان سلفهم الصالح الذين يزعمون الاقتداء بهم كانوا ابعد من هذه الصفة بعد ما
بين المشارق والمغارب بل كانوا رضي الله عنهم وارضاهم اجل شأننا واكمل ايماننا من ان يقدموا بين
لله ورسوله بل هم تبع له في اوامره بل هم تبع له في اوامره ونواهيته ولنصوص الشرع اعظم عندهم من ان يقدموا عليها اراء الرجال.
وهي اجل قدرا في صدورهم من ان تضرب لها الامثال. واعلى منزلة
من ان تدفع بالاقيصه والتأويل المحال. وانما المقتدي بهم على الحقيقة من اقتفى اثرهم. واتبع سيرهم وحفظ واحيا سنتهم في طلب
الحق واخذه اين اين وجده؟ والوقوف عند كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم كما بلغته فكما كان اجتهاد السلف رحمهم الله في جمع الأدلة واستنباط الاحكام منها فالواجب عند الخلاف تتبع تلك الأدلة
والاخذ بالاصح منها مع ما كان. وبيد من وجد مع من كان. نعم
والاخذ بالاصح منها مع من كان وبيد من وجد فان الحق واحد لا يجزئه الاختلاف وكل واحد من اولئك الائمة يدأب في طلبه جادا
مجتهدا ان اصابه فله اجران. وان اخطأه فله اجر. والخطأ
مغفور وهذه اقوالهم مدونة في كتبهم كلها تدم الرأي في الدين وتحت من بعدهم على اقتفاء اثرهم في طلب الحق اينما كان ولم
يدعو احد منهم الى تقليده ولم يكن احد منهم معصوما ولا ادعى ذلك. ولا قال ان الحق معي لا
فارقني فتمسكوا بما اقول وافعل ولا ادعى ذلك ولا قال ان الحق معي لا يفارقني فتمسكوا بما اقول وافعل. ولا كان لاحد منهم التزام
قول احد من احاد الامة لا ممن هو مثلهم ولا ممن هو افضل منهم فضلا عن هو دونهم. ولم يكن لهم ان يلتزموه فيما خالف النص
الذي لم يبلغ
او لم يستحضره ولو كان ذلك خيرا لسبقونا اليه بل كان امام الجميع محمد بل كان امام الجميع محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي بين للناس ما نزل اليهم
بل كان امام الجميع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بين للناس ما نزل اليهم ويتبعون اثره من الافعال والاقوال
والتقريرات يتلقونها من حفاظها من كانوا واين كانوا وبيد من وجدوها وقفوا عندها
ولم يعدوها الى غيرها وكانت طريقتهم في تلقي النصوص انهم يردون المتشابه الى المحكم ويأخذون ما يفسر لهم المتشابه ويبينه
لهم فتتفق دلالاته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضا. ويصدق بعضها بعضا. فانها كل
من عند الله وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقم. وانما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره. قال على افلا يتدبرون
القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. نعم سبحانه
اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد واله وصحبه جزاكم الله
خيرا